

التناظر النصي بين فاتحتي سورة لقمان والبقرة

م.د. منار خالد بادي

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الإنسانية

Textual Symmetry of the Opening Verses of the Two Suras of Lukman and Al-Bakara

Lec.Dr. Manar Kalid Badi

University of Al-Muthana / College of Education for Human Sciences

minr@mu.edu.iq

Abstract

The purpose of this study is to shed light on the semantic proportionality and the textual coherence of the Qur'an, as a means of revealing the methodological and objective miracles that masquerade the Holy Quran. That miracle.

Our chosen field relates to the Surat Al-Sur (1-12) of Surah Luqman, which is integrated into five full-meaning texts. It is balanced with the first verses of Surah Al-Baqarah, which are integrated into five full-textual texts as well. A statement of what the text of the Koran embodies uniqueness in the unity of subjects and cohesion within the framework of a unified symbolism.

Keywords: Textual symmetry, Surah Luqman, Surat Al Baqarah.

المخلص:

إن الهدف من هذه الدراسة هو تسليط الضوء على التناظر الدلالي والتماسك النصي لسور القرآن الكريم، كوسيلة من وسائل الكشف عن الإعجاز المنهجي والموضوعي الذي يمتاز به الذكر الحكيم.

وميداننا الذي اخترناه يخص فواتح السور من (١-١٢) من سورة لقمان والتي تتكامل في خمس نصوص تامة المعنى، ومناظرتها بالفواتح الأولى من سورة البقرة والتي تتكامل في خمسة نصوص تامة المعنى أيضاً، منتهجين فيها طريق التحليل والبيان والمقارنة وصولاً إلى ما نهدف إليه من بيان ما يمتاز به النص القرآني من تفرّد في وحدة الموضوعات وتلاحمها في إطار دلالي موحّد. **الكلمات الافتتاحية:** التناظر النصي، سورة لقمان، سورة البقرة.

مقدمة:

لسنا هنا بصدد الحديث عن نظرية النصّ أو علم اللغة النصّي أو لسانيات النصّ أو غيرها من المسميات التي بذل فيها العلماء أقصى ما لديهم من الجهد؛ لتبويبها في مفهوم موحّد^(١). بقدر ما تراه من حاجة ملحة إلى تأسيس مدخل نظري لما سنبحثه في مظان هذا البحث، خاصة وإته يقوم على مبدأ تحليلي نصّي مناظر، وفكرته الأساسية تدور حول النظر إلى آيات الذكر الحكيم المنتظمة في سور متنوعة بمنظار موحّد قائم على نصّيتها، في صورة متماسكة ومتلاحمة، يكمل بعضها بعضاً، على الرغم من تباينها في أسباب النزول ومواقعها وزمانها.

فمنذ الخمسينيات والجهود تبذل في سبيل انتهاج منهج يقوم على تجاوز الجملة إلى ما هو أوسع منها، وأشمل، فظهر مفهوم النصّ، وتعددت الأقوال في تعريفه إلا إنها تتفق في إنه يعني ((مجموعة الأفكار التي تعبّر عنها الجمل في موضوع معين على نحو حسن من التنسيق والتأليف))^(٢).

ويعدّ كتاب (مقدمة في لسانيات النص) لـ (ديبيراند ودروسلر) المرحلة الانتقالية من الأفكار إلى الواقع، ومنه أطلقت المسميات المتنوعة والتي على تنوعها تلتقي في معنى دراسة اللغة كبنية نصيّة واحدة، فهي كما قلنا: تحول الدراسة اللغوية من الجملة إلى النص^(١).

(١) ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد هفيقي: ٢١. مبادئ اللسانيات، محمد أحمد قدور: ١١٣. لسانيات النص، محمد خطابي: ١٧.
(٢) نظيمة النص في تفسير القرآن الكريم، الدكتور محمد كاظم البكاء: ١٢.

ولعل القصور الذي لمحهُ العلماء في نحو الجملة في تفسير وتوجيه بعض المسائل اللغوية، هو الذي دفعهم إلى مجال أوسع في البحث، فتجاوزوا الجملة لما هو أشمل وأكثر احتواءً لقضايا النص، خاصة إذا ما علمنا إنَّ النَّصَّ هو ((دراسة الأدوات اللغوية التي تحقق صور التماسك النصِّي (الشكلي والدلالي) مع مراعاة السياق وخلفية المتلقي المعرفية للنص))^(١)، وهو ما عُرف بنحو النص، ومن أبرز مرتكزات التماسك النصي والبيان التحليلي ما يعرف بـ (الروابط اللفظية) من أدوات وحروف واسماء نحو (النواسخ، وأدوات الشرط، وحروف العطف، واسماء الإشارة والأسماء الموصولة وغيرها)، فضلاً عن (العلامات المعنوية) التي تحلل النص وفقاً لمضمونه نحو (الإسناد وأنواعه، والنعت، والتوكيد، والحال، والحذف، والتكرار) وغيرها؛ و (الأساليب الفنية) التي تختص بإظهار ما يحتويه من النص من بلاغة وبديع ومعانٍ، ولا تغفل (الروابط الدلالية) وهي كلُّ ما يخصُّ الأفكار التي تتضمنها الجمل والتي تتوائم مع المعنى العام للنص^(٣).

وقد كان لهذه الروابط أهمية واضحة عند علماء اللغة الذين بذلوا جهوداً حثيثة لبيان دورها فيما اعتمده من منهج، ولعلَّ فيما أوجزه (هاريس) من رأي فيها دليل كاف لبيان أهميتها إذ قال: ((إنَّ اللغة لا ترد في صورة كلمات أو جمل منعزلة بل في نص مترابط، بدءاً من المنطوق المكون من كلمة واحدة حتى المؤلف المكوّن من عشرة مجلدات، ولذا يجب أن لا تحلل الجمل إلا في سياق نصوص، باعتبارها أجزاء من خطاب شامل))^(٤).

وهذا جَلَّ ما نهدف إلى إبرازه في دراستنا المتواضعة هذه، لواحِدٍ من أبداع نصوص الكتاب الكريم (سورة لقمان) متمثلين بفواتح سورة لقمان الآيات من (١-١٢) كأنموذج لتسلسل منطقي متكامل في نص موحّد الفكرة إذ تجاوزت نصيَّته حدود علم اللغة المقيد بالجملة، حتى شمل ما هو أوسع منها ليعبر حدود ما بعد الجملة، ولذلك فقد بحثنا في الجملة ومضمونها وأدواتها وتحليلها تحليلاً منطقياً وصولاً لتضمنها معنى النص، فضلاً عن المناظرة النصية بينها وبين نص آخر قائم على فواتح سورة البقرة لبيان مدى التناسب النصي والتماسك الدلالي بينهما، مرتكزين على المعايير النصية المألوفة التي أقرها علماء اللغة من (ربط نحوي، وتماسك دلالي، وقصدية لما يهدف إليه النص، واستبدال بين النصوص وموقعية تتعلق بتحليل بعض الآيات لغوياً) وكلُّ ما وجدنا فيه الوظيفة التي نخدم بحثنا^(٥).

وللضرورة البحثية نرى إنَّه من اللازم التعريف بالسورة ولو على وجه الإيجاز؛ لكثرة المؤلفات والتفاسير التي تحدثت عن محتواها وفضلها، وسبب تسميتها، لذا سنعرّف بها فيما يخصّ طبيعة البحث وما انتهجناه من منهج قائم على التحليل النصي مناظرة وهو بالتأكيد يتعاطى مع الروح التفسيرية لكن بإطار ضيق مفاده خدمة النَّص.

فسورة لقمان مكيّة، عدد آياتها (أربع وثلاثون آية)، جاءت تسميتها تكريماً للقمان الحكيم^(٦)، الذي عرف بفضيلة الحكمة والتي يقوم النص على محتواها المعجمي والسياقي والنصي في وحدة تناسبية متماسكة دلاليّاً قائمة على النصوص الخمسة الآتية - وهي ما يخصّ البحث قيد الدراسة (أي فواتح سورة لقمان):

١. النص الأول من الآية (١-٥) وتمثّل جملة تامة.
٢. النص الثاني من الآية (٦-٧) وتمثّل جملة تامة.
٣. النص الثالث من الآية (٨-٩) وتمثّل جملة تامة.
٤. النص الرابع من الآية (١٠-١١) وتمثّل جملة تامة.
٥. النص الخامس من الآية (١٢) وتمثّل جملة تامة.

(١) ينظر: علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، سعيد حسن البحيري: ٨١. بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل: ٣٤.

(٢) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي: ١ / ٣٥.

(٣) ينظر: نظرية النص في تفسير القرآن الكريم: ١٤ - ٢١. خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم، تمام حسّان: ٣٦.

(٤) نقلاً عن: بنية النص في سورة الكهف (رسالة ماجستير)، شعيب محمودي: ٤٤.

(٥) ينظر: نظرية علم النص (رؤية منهجية في بناء النص النثري)، حسام أحمد فرج: ٢٤. لسانيات النص: ١٧.

(٦) ينظر: تفسير الأمتل: ١٠ / ١٣.

ومفهوم الجملة هنا نعني به الكلام الذي يفيد معنى تام، مكتفٍ بنفسه عما بعده، بحيث يمثل ما بعده معنى خاص به يمكن الابتداء به، وبهذا تكون نهاية الجملة هي الكلام الذي لا يجوز لنا الابتداء به، لأنه مرتبط دلاليًا وتواصلياً مع ما قبله، ودونك النصوص بشيء من التفصيل:

النص الأول:

قال تعالى: ﴿الم ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

نحن الآن امام نص قرآني متكامل يمثل جملة واحدة تامة المعنى، فعلى الرغم من تجديده وفقاً للرسم القرآني بخمس آيات إلا إنه يتضمن في معناه جملة واحدة مترابطة الأجزاء، فكما نعلم أنّ الكلام هو اللفظ المفيد التام الدلالة، وكذلك الألفاظ التي بداخله إذ يجب ان ننظر إليها نظرة عامة لا جزئية وعليه تكون قراءتنا للنص على النحو الآتي: ﴿الم ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

فالجملة وفقاً لذلك هي الكلام المفيد التام المعنى، وبصورة أكثر دقة هي الكلام الذي يتم معناه بالوقوف على آخر ما لا يجوز الوصل فيه، إذ يكون ما بعده جملة أخرى يجوز الابتداء بها، فإن فقدت هذا الشرط كانت مكملة لما قبلها^(١) أي: إذا ابتدأنا بقوله تعالى: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))^(٢) ووقفنا فهذه جملة تامة المعنى، إلا إننا إذا أردنا الاستمرار في الكلام قلنا: ((الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ))^(٣) وحسبنا أنّ عبارة ((الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)) جملة تامة وكذا عبارة ((مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ))، فقد جانبنا الصواب، لأننا إذا ابتدأنا بها أدركنا عدم جواز ذلك، ولا نغفل الإعرابي فهي صفات للذات الإلهية والصفات (توابع)؟!!

إلا إنّ الحال مختلف لو أتممنا القراءة إلى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فهذه جملة تامة منفصلة عما قبلها من ناحية المعنى إذ يجوز لنا الابتداء بها والوقف على نهايتها، وعدّ قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ جملة أخرى للسبب نفسه؛ وهكذا بالنسبة للبقية. إذن فالخمس آيات الأولى من سورة (لقمان) تمثل جملة واحدة تامة المعنى، جاءت منتظمة في نص واحد موضوعه الإيمان الذي يتصف به المحسنين، وذكر صفاتهم خاصة.

وبمجرد تفكيكه دلاليًا يتضح لدينا المعنى العام للنص على النحو الآتي: قال تعالى: ﴿الم ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، بعد القسم بالحروف المقطعة جاء الإخبار عن الكتاب وآياته باسم الإشارة (تلك) وفي لغة العرب فإنه اسم إشارة يدلّ به على البعيد، وبشكل أكثر خصوصية يشار به للمفردة المؤنثة البعيدة كقولنا: (تلك الشجرة)^(٤)، فهل الكتاب المقدس بعيد؟ وعن من عن المحسنين المؤمنين به؟! بالتأكيد إنّ هذا المعنى الشكلي بعيد كلّ البعد عن المحتوى إذ عبّر باسم الإشارة (تلك) توظيفاً لمعناها النحوي بدياجة بيانية الغاية منها الكناية عن عظمة وأهمية هذه الآيات وكأنها في سموها في أعالي السماء وفي نقطة بعيدة المنال^(٥).

وقد أشار بـ (تلك) إلى صيغة الجمع (آيات) لما في دلالة الجمع من قوة فيما يراد المعنى ولزومه^(٦)، ثم إنّ دلالة التعظيم والإكبار متأتية من أسلوب العدول بـ (تلك) بدلاً من (هذه) فمن المعروف أنّ العربي إذا أراد تعظيماً ذا بال عبّر عنه بما يدلّ على البعد وكأنه أمر لا يمكن الوصول إليه بسهولة، أو لا يستحقّه أي فرد^(٧)، ولعلّ في قصيدة الفرزدق الشهيرة في مدح الإمام علي بن الحسين

(١) ينظر: نظرية النص في تفسير القرآن الكريم: ٩ - ١٠.

(٢) الفاتحة: ١.

(٣) ينظر: نظرية النص في تفسير القرآن الكريم: ١٠.

(٤) ينظر: النحو الوافي، عباس حسن: ١ / ٣٢٠.

(٥) ينظر: تفسير الرازي، للرازي: ١٢ / ٢٥٩. نظم الذرر، للبقاعي: ٦ / ٣٢٥.

(٦) ينظر: نظم الذرر: ٦ / ٣٢٥.

(٧) ينظر: تفسير الطبري، للطبري: ٢ / ١٢٤. تفسير النسقي، للنسقي: ١ / ٨.

(عليهما السلام) الدليل الأكبر من مقصدنا إذ قال مصرحاً: (وليس قولك من هذا بضائره) إذ إنَّ التعبير ب (هذا) فيه دلالة الاستهزاء والتفريع في أغلب استعمالاته البيانية^(١).

كما نلاحظ إضافة (الآيات) إلى (الكتاب) من باب إضافة الخاص إلى العام أو الفرع إلى الأصل؛ لأنَّ الأصل هو الكتاب العظيم، مما يعطي الآيات معنى أقوى وأكثر بياناً لعلو شأنها^(٢). والكتاب هو الوثيقة الملزمة، وفي نوع من المقاربة كأننا أمام ما يعرف اليوم ب (الدستور) الذي يضمُّ أصول العقائد الإسلامية وأحكامها^(٣)، والتي أشار إليها بقوله: (تلك آيات) أي: تلك وثائق وأصول الكتاب الملزم، وكما نعلم أن الدستور في وقتنا الحاضر يمثل السلطة الأعلى وكذا القرآن فهو الكتاب الأعلى على الإطلاق.

﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ لم تُعَتِ القرآن بالحكيم؟ فقد تعددت الآراء في ذلك فهي إما لقوة ومثانة محتواه فهو حكيم لأنَّ الباطل لا يجد إليه سبيلاً^(٤)، أو لأنَّ القرآن كالعالم الحكيم الذي يتكلم بألف لسان في الوقت الذي هو صامت لا ينطق فيعلم ويعظ وينصح ويرغب^(٥)، وأرى أنَّ هذا المعنى هو الأقرب لمضمون النص؛ بما فيه من مناسبة لمعنى (الحكمة) لغوياً وفلسفياً، فقد ذكرت أغلب المعجمات أن الحكم أصله المنع^(٦)، ومنه سُميت للجام حكمة الدابة^(٧)، وسُميت الحكمة بهذا؛ لأنها تمنع من الجهل، وهي التشبه بالإله بقدر الطاقة البشرية^(٨)، أي إنها تعني تجنب الخطأ والزلل على قدر الوسع والطاقة والحكيم (فعليل) صفة مشبهة تدلُّ على الثبات واللزوم^(٩) وهما من خصائص القرآن الكريم المتفردة، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١٠)، والحكيم العالم ذو الحكمة وهو المتقن الأمور^(١١)، والذي جاء ملائماً لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾^(١٢)، تأسيساً لمن أتبع كتابه الحكيم، وترسيخاً للنعته بهذا الشكل والمضمون المباشر بين اسم السورة التي سُميت باسم الحكيم لقمان ومضمونها.

وهذا الانسجام بين اسم السورة ومضمونها ونعني به الترابط الدلالي المباشر بين الوصف والموصوف أي: وصف آيات الكتاب بالحكمة وتمثّل ذلك بالموصوف (لقمان) وما عُرف عنه من الحكمة وحصانة العقل، نجدُه بصورة تقلُّ اتحاداً في السور الأخرى وإنَّ ترادفت بشكل مماثل مثل قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾، من سورة يونس، وختام سورة هود وهو قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾^(١٣)، فبمجرد النظر في المقدمة والخاتمة يتضح السرُّ بالتعبير عن الحكمة كوصف لآيات الكتاب في هذا الموضع لأن الكتاب الحكيم نابع من ذي الحكمة الذات الإلهية ولا عجب في ذلك.

ولو تفحصنا قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(١٤)، نلاحظ عدّة أمور منها: إنّه عبّر ب(ذلك) وهو اسم إشارة للبعيد، كناية عن عظمة الكتاب وعلو مكانته، ولم يقل (هذا) تماماً كما عبّر في سورة (لقمان) ثم إنّه عبّر بصيغة الكل أي العام ولم يخص؛ لأنه أرفها بجمله - لا ريب فيه - وهي جملة اعتراضية لا محلّ لها من الإعراب^(١٥)، إلا إنها من روابط النص المعنوية التي استغني بها دلاليّاً عن وصف الكتاب بصفة صريحة فجاء بهيأة الاعتراض للإخبار عمّا بعده، فضلاً عن السياق الذي تقوم عليه سورة البقرة وهو بيان مضمون دستور الإسلام القرآن الكريم بشكل عام دون تخصيص بصفة ما، كما هو الحال في سياق سورة (لقمان) وقوله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾، إخبار عن الهدف النهائي من نزول القرآن - فهو خبر لذلك - قال: ﴿هُدًى

(١) ينظر: جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي: ٣٤.

(٢) ينظر: الكشاف، الزمخشري: ٥ / ٢٧٢. التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١١ / ١٠٩.

(٣) ينظر: البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي: ٩ / ٩٧. نظرية النص: ١٢.

(٤) ينظر: الكشاف: ٥ / ٢٧٢. الأمثل: ١٣ / ١١.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٩ / ٩٧.

(٦) ينظر: لسان العرب، مادة (حكيم)، ابن منظور: ٢ / ٩٥٣ - ٩٥٤.

(٧) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٨) ينظر: تفسير الرازي: ٢٠ / ٧٧.

(٩) ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيويوه، دكتورة خديجة الحديثي: ٢٧٧. البحر المحيط: ٩ / ٩٧.

(١٠) الحجر: ٩.

(١١) ينظر: تفسير النسفي: ٣ / ١٠٣.

(١٢) لقمان: ١٣.

(١٣) هود: ١.

(١٤) البقرة: ١ - ٢.

(١٥) ينظر: الدر المنثور، السيوطي: ١٩/١١.

وَرَحْمَةً»، لتماسك معنوي مفاده أنّ الهداية في الحقيقة مقدمة لرحمة الله؛ لأنّ الإنسان يعتقد بالله ويؤمن به ويمبادئه ويعمل بها ثم تكون هذه الاتجاهات مقدمة لشموله برحمته الواسعة^(١).

ومما يجدر الانتباه إليه أنّ هذه السورة عدت القرآن سبباً لهداية ورحمة (المحسنين)^(٢)، ونلاحظ في بداية سورة النمل إن الله تعالى قال: «هُدًى وَيُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ»^(٣)، وفي بداية سورة البقرة قال: «هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ»، إذن لم هذا الاختلاف في التعبير؟ وهل له من دواعٍ؟ بدءاً علينا أن ندرك إنّ لا ترادف في القرآن الكريم وإن تماثلت مفرداته لأنّه كتاب معجز متفرد بسياقاته المتباينة وإنّ أمناً بوجود الترادف فهو غير تام قطعاً، فلكل لفظ في القرآن موضعه من السياق ودلالته الخاصة، وما نحن بصدده خير دليل إذا ما علمنا أنّ حقيقة روح التسليم وقبول الحقائق لا تحيا في الإنسان بدون التقوى أي: (حجز الروح عن عدم التسليم بقبولها التسليم)^(٤)، وعند ذلك لا تتحقق الهداية وبعد مرحلة قبول الحق تصل إلى مرحلة الإيمان التي تتضمن البشارة بالنعمة الآلهية، علاوة على الهداية. وإذا تقدمنا أكثر فنصل إلى مرحلة العمل الصالح، وعندها تتجلى نعمة الله أكثر من ذي قبل^(٥).

وبناءً على هذا فإنّ الآيات الثلاث أعلاه تبين مراحل متعاقبة من مراحل تكامل عباد الله: مرحلة قبول الحق، ثم الإيمان، فالعمل، والقرآن في هذه المراحل مصدر الهداية والبشارة والرحمة على الترتيب، ومن ذلك قال تعالى في سورة البقرة (للمتقين)، وقال تعالى ها هنا (للمحسنين)؛ لأنّه لما ذكر أنّه هدى ولم يذكر شيئاً آخر قال تعالى: (للمتقين) أي يهتدي به ويتقي الشرك والعناد، ولما زاد ها هنا أي (سورة لقمان) كلمة الرحمة قال تعالى: (للمحسنين) أي: المتقين الشرك والعناد لكلمة الإحسان^(٦)، فالمحسن هو الآتي بالإيمان، والمتقي هو التارك للكفر، كما قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ»^(٧)، فمن أتى بحقيقة الإيمان كان محسناً وله الزيادة لقوله تعالى: «لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ»^(٨)؛ ولأنّه لما ذكر أنّه رحمة قال: (للمحسنين)؛ لأنّ رحمة الله قريب من المحسنين.

قوله: «الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ»^(٩) هنا بيان لصفات المحسنين: بإقامة الصلاة وإتيان الزكاة والإيفان بالآخرة، فإنّ ارتباط المحسنين بالخالق عن طريق الصلاة وإقامتها، وارتباطهم بالخلق عن طريق الزكاة، والتي هي مصدر الإنفاق الحلال، ويقينهم بالآخرة باعث قوي على الابتعاد عن الذنب والمعصية وحليل على ثبات صفة الإحسان لديهم. وقد ورد ذكر الصفات ذاتها في سورة البقرة إلا إنّها جاءت في سياق وصف المؤمنين إذ قال تعالى: «الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ»^(١٠)، فتعبير (الإيمان بالغيب) يقابل (بالآخرة هم يوقنون)؛ لأنّهما يتفقان في الدلالة على ما كان خلاف الشهادة والحسّ، مثل: الإيمان بالوحي والإيمان بالملائكة وحتى الإيمان بالإمام الحجّة المنتظر - عجل الله تعالى فرجة الشريف^(١١)، ومن لطائف التعبير إنّّه لما كان سياق سورة البقرة الحديث عن صفات المؤمنين صدر الوصف بالقول: «الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ»، ثم إنّ تصدر الإيمان بالغيب هنا لأنّه أقوى درجات الإيمان؛ فكلما كان بعيداً عن الحسّ والشهادة كان أقوى ثباتاً في القلب^(١٢)، ثم جاء القول بإقامة الصلاة تالياً لأنّه الدليل على ذلك الإيمان الغيبي، ولذا اقترن بالإنفاق لأنّه التطبيق العملي للإيمان أجمع^(١٣).

(١) ينظر: تفسير الرازي: ٢٦٠/١٢. الكشاف: ٢٧٢/٥.

(٢) ينظر: تفسير الرازي: ٢٦٠/١٢. الأمل: ١١/١٣.

(٣) النحل: ٢.

(٤) ينظر: تفسير روح المعاني، الألوسي: ١٨٤/٦.

(٥) ينظر: نظم الدرر: ٣٣٦/٦. الكشاف: ٢٧٢/٥. الأمل: ١٢/١٠.

(٦) ينظر: تفسير الرازي: ٢٦٠/١٢.

(٧) النحل: ١٢٨.

(٨) يونس: ٢٦.

(٩) لقمان: ٤.

(١٠) البقرة: ٣.

(١١) ينظر: نظرية النص: ٦.

(١٢) ينظر: تفسير الميزان، الطباطبائي: ٤٧/١-٤٨.

(١٣) ينظر: تفسير الطبري: ٢٣١/١.

ولما كان سياق سورة (لقمان) يتضمن الحديث عن صفات المحسنين صدره بالوصف الآتي: «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ»^(١)، وكأنَّ الإحسان صفة ونتيجة حتمية لمن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة...إلخ. وإلا كيف تتوقع الإحسان ممَّن لا إيمان له!؟

ولذلك جاء الترتيب الوصفي في سورة (لقمان)، مخالفاً تماماً بصورة عكسية لوصف المؤمنين في سورة (البقرة). ثم عبر القرآن في السورتين بالاسم الموصول (الذين) فقال: (الذين يؤمنون...؛) و (الذين يقيمون...). قاصداً بذلك الدلالة على تحقيق ذلك منهم أي: إيمانهم وإقامتهم^(٢)، وعدل عن الوصف باسم الفاعل فلم يقل: (المؤمنين، المقيمين) لأنَّ ذلك سيؤدي إلى تعميم الوصف والشمولية فيه لجميع المؤمنين والمقيمين، وليس ذلك بمتحقق لأنَّ ليس كلَّ مسلم مؤمن وليس كلَّ مقيم للصلاة والفرائض مُسلم^(٣)، وهكذا كان استعمال الاسم الموصول غاية في الدقة والإعجاز لأنها تعتمد بمدخلها على الصلة والربط بين ما تدلُّ عليه من دلالة خاصة ولفظ آخر من ألفاظ الجملة التي تصلها وهو ما يعرف نحويّاً بـ: (صلة الموصول)^(٤)، قوله: « وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ » - لقمان - و « وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ » - البقرة.

نلاحظ اقتران اليقين بالآخرة وهو من صفات الإيمان، ما يلائم سياق النص، أما الآخر فجاء تأكيداً لصفة التيقن من اليوم الآخر، ولا فرق بين الأثنين لارتباطهما بالمعنى الإجمالي للإيمان؛ ولأنَّ اليقين من لوازمه^(٥).

ثم إن في تقديم (في الآخرة) على (يوقنون) دلالة التخصيص^(٦) عن طريق تقديم الفاعل المعنوي (المحسنون) أو (المؤمنون) في سورة لقمان وسورة البقرة وتقديم الجار والمجرور على متعلقه ما يُعلم منه وجه اختيار ضمير الغيبة (هم) الموائم لاسم الإشارة الجمعي اللاحق (أولئك) و تم تكراره فصلاً وتوكيداً في سورة لقمان^(٧).

ولا يمكننا أن نغفل في هذا الموضع ما أضفته الفاصلة القرآنية في الجمل المذكورة آنفاً من جمالية لا تخطئها الأذن فمهما يكن من امر لأبد لنا ونحن نرتل آيات الذكر الحكيم أن نتحسس القيم الصوتية المنتظمة بداخلها، هذا بشكل عام، وللفاصلة القرآنية قيم صوتية قد تؤدي مراعاتها في كثير من المواضع القرآنية إلى تقديم عنصر عن موقعه في الجملة أو تأخيرها، ليس لغاية بلاغية بقدر ما يكون ذلك الإجراء لغاية ما يسمى (رعاية الفاصلة)^(٨) وهو ما نجد واضحاً متمثلاً بقوله تعالى الآنف الذكر: « وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ » و « وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ » فلو عبّر عنهما من غير تقديم لكانتا: وهم يوقنون بالآخرة، ونعتقد أنَّ الفرق بين صوتياً ومثله قوله تعالى: « وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ »^(٩)، لو قرأت: (وَيُنْفِقُونَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ)، وهكذا نلاحظ ما للفاصلة القرآنية من أثر في ربط المحتوى النصي بالموسيقى الداخلية للألفاظ، حتى وإن جردت من أي وظيفة نحوية أو بلاغية كالهدف فيها جمالي تنسيقي متفرد وما تفردا إلا كونها جزءاً من سياق الآية لا يتجزأ فلا يمكن تصوّر المعنى العام للسورة إلا بوجودها^(١٠) مما يخلق جواً يعرف بموسيقى النص القرآني.

قوله تعالى: «أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»^(١١) هنا بيان لعاقبة عمل المحسنين، والهدى في قوله: «هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ» توحى بأنَّ هداية أولئك قد ضمنت من قبل ربهم من جهة، ومن جهة أخرى فإنَّ التعبير بحرف الجر (على) دليل على أنَّ الهداية كأنها مطية سريعة السير، وأولئك قد ركبوها وأخذوا بزمامها^(١٢)، وبإله من زمام!

(١) لقمان: ٤.

(٢) ينظر: الجلالين، المحلي والسيوطي: ٤٧٢/٧. التحرير والتنوير: ٢٤٢/١٠.

(٣) ينظر: الكشاف: ٥٥/٥.

(٤) ينظر: النحو الوافي: ٢٥٩/١. التحرير والتنوير: ٢٤٢/١٠.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٤٢/١٠.

(٦) ينظر: المحرر الوجيز: ١٥١/٥. بحر العلوم، السمرقندي: ٢٨٠/٣.

(٧) ينظر: تفسير البيضاوي: ٤٩٠/٤. المحرر الوجيز، ابن عطية: ١٥١/٥.

(٨) ينظر: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم، تمام حسان: ١٣٦.

(٩) البقرة: ٣.

(١٠) ينظر: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: ١٣٦.

(١١) لقمان: ٥.

(١٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ١٧١/١.

وعلى الرغم من التفاوت بين مدلول هذه الهداية، والهداية التي وردت في بداية السورة: «هُدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ»؛ لأنَّ الهداية الأولى هي الاستعداد لقبول الحق، والثانية: طريق الوصول إلى الغاية أو الهدف^(١).

فإنَّ التباين القرآني هذا له إحياءٌ تواصلِي نلمحه من ارتباط معاني النص، وكأنَّ الهداية الأولى تتفق مع تباينها مع الهداية الثانية؛ لأنَّ النص قابل لمعنى ذلك - والله أعلم - ومن لطائف القول ما نلاحظه من اتحاد نصِّي في خاتمة الجملة الأولى من النص الأول في سورتي لقمان والبقرة وهو اتحاد تتفق فيه المفردات لفظاً ومعنى، ولعلَّ السرَّ في ذلك عائد إلى ما يحمله اللفظ من معنى فختامها بلفظة (المفلحون) له نكتة بلاغية جميلة مستقاة من معنى (فلح) في العربية، إذ تدلُّ على معنى (الشقاء والتعب) فشقَّ الأرض: إذا فلحها ابتغاء لطلب الثمر منها^(٢)، فكذلك الجنة لا يمكن أن ننالها إلا بالعمل الصالح والاجتهاد في كسب الحسنات وبذل الجهد.

ثم أنَّ جملة «وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» تدلُّ على الحصر وفقاً لقواعد العربية، فالرباط اسم الإشارة (أولئك) الذي يعدُّ رابطاً لفظياً يعمل على ربط المشار إليه بعنصر آخر من عناصر الجملة أو الجمل السابقة في النصِّ نفسه^(٣)، فكيف الحال إذا كرر بالعطف؟ وما تكراره إلا تأكيداً للحقيقة إنَّ طريق المحسنين والمؤمنين - لقمان، البقرة - هو الطريق الوحيد للارتباط بالله والإيمان المطلق به، فالربط واضح لما قبله من مثل: (ذلك الكتاب أو تلك آيات).

وهكذا نخلص إلى حقيقة مدى التماسك والتناسب النصِّي في الجملة الأولى من النصِّ الأول من فواتح سورتي (لقمان والبقرة) حتى إنَّ القارئ لهما يلحظ ذلك دون عناء، فسورة لقمان تتضمن في مقدمتها الحديث عن الإيمان وتقسيم الناس في ضوءه على: المحسنين وذكر صفاتهم: «تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٦﴾ هُدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٧﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٨﴾، وكذا الحال في سورة البقرة إذ تضمنت مقدمتها الحديث عن موضوع الإيمان وتقسيم الناس في ضوءه على: المتقين وذكر صفاتهم: «ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٠﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٦١﴾».

النص الثاني:

قال تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَبَيَّحَدَّهَا هُرُوءًا وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٧٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَ لَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بَعْدَآبِ الْإِيمَانِ ﴿٧١﴾».

سبب نزول الآيتين (٦-٧) لقمان.

يقول بعض المفسرين: إنَّها نزلت في (النضر بن الحارث) فقد كان تاجراً يسافر إلى إيران أي بلاد الأعاجم، وكان يحدث قريشاً بقصصهم وأحاديثهم، وكان يقول: إذا كان (محمد) يحدثكم بقصص عادٍ وثمود، فأني أحدثكم بقصص رستم وكسرى وسلاطين العجم، فكانوا يجتمعون حوله ويتركون استماع القرآن^(٤).

وقال البعض الآخر: إنَّها نزلت في رجل اشترى جارية مغنية وكانت تغنيه ليل نهار فتشغل عن ذكر الله^(٥) والمعنيان مقبولان كسبب لنزول مضمون هذا النص، وهما يمثلان جملة تامة المعنى. والكلام في هذا النص عن جماعة المضللين والضالين الكافرين، وهم يقابلون تماماً جماعة المحسنين المؤمنين الذي ذكروا في النص الأول.

ويقابلون جماعة الكافرين الذين ورد ذكرهم في النص الثاني من سورة البقرة: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦٠﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَ عَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦١﴾». قوله: (ومن الناس)، من هنا للتبعيض والمعنى: بعض الناس^(٦)، - وقلنا إنَّه (النضر بن الحارث) حسب رأي المفسرين أو غيره - ذكر لفظة (الشرء في قوله: (من يشتري)؛

(١) ينظر: المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، صفي الرحمن المباركفوري: ٣٢٢/١.

(٢) ينظر: تفسير معالم التنزيل، البيهقي: ٦٣/١. تفسير السعدي، السعدي: ٤٠/١.

(٣) ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ٢١. الأمثل: ١٢/١٣.

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير: ٣٣٠/٦. تفسير البيهقي: ٢٨٠/٦.

(٥) ينظر: الأمثل: ١٥/١٣.

(٦) البقرة: ٧-٦.

(٧) ينظر: تفسير الألوسي: ١٨٥/٦.

للدلالة على الضالّ والمُضِلّ، خاصة إذا علمنا إنّ الشراء والبيع يتلازمان في المعنى، فالمشتري دافع للثمن، وأخذ المُثْمَن، والبائع دافع المُثْمَن وأخذ الثمن، فصَحَّ أن يتصور كلّ واحد منهما في موضع الآخر والنتيجة واحدة: تحقق الضلالة لكليهما^(١).

ومن اللطيف إنّه قد وردت لفظة الشراء في السياق نفسه من سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى﴾^(٢)، فأثر التعبير القرآني استعمال اللفظ الواحد ذو الدلالة الواسعة المعنى إيجازاً.

قوله: (لهو الحديث) قيل هي: الخرافات والأساطير، أي دفع المال لسماع هذه الخرافات أو عن طريق شراء المغنيات لعقد مجالس الهو الباطل، وبهذا ف (لهو الحديث) له معنى واسع يشمل كل أنواع الكلام أو الموسيقى الذي يؤدي للغفلة ويجر إلى الضلالة^(٣).

والتعبير ب (لهو الحديث) بدلاً من (حديث اللهو) ربّما كان إشارة إلى أنّ الهدف الأساسي لهؤلاء هو اللهو والعبث، فكان الكلام والحديث وسيلة للوصول إليه، وإنّ المخالفة في التعبير جاءت لتقصّد المبالغة والتأكيد في تجاوز هؤلاء لأنّ النتيجة هي قوله: ﴿يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: دينه وطريقه، ويجوز أن تكون قراءة قرآنه، وكلّ ذلك مقبول وفقاً للسياق^(٤).

كما أنّ ذكر الضلالة هنا يقابل النص الأول الذي تضمن لفظة الهدى وذلك قوله: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ وهذا التقابل مستوحى من معنى لفظة الضلالة والضلال وهي الجور عن القصد وفقد الاهتداء^(٥).

قوله: ﴿بَغْيٌ عِلْمٌ﴾ وصف للمُضِلِّين، فهو إشارة إلى الجماعة الضالة التي لا تفقه مذهباً؛ ويجوز أن تكون وصفاً للضالين على اعتبار إنهم يجرون إلى الانحراف دون علمهم بجهلهم^(٦). وكلا المعنيين له ارتباط تناسب واضح بقوله تعالى: ﴿أهدنا الصراط المستقيم ❀ غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾^(٧)، فهؤلاء من فئة أولئك لبعدهم عن طريق الهداية.

قوله: ﴿وَيَتَّخِذُهَا هُزْوًا﴾ الضمير في (يتخذها) يعود إلى آيات الكتاب التي وردت في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ ويجوز أن يعود إلى (السبيل)؛ لأنّ كلمة (السبيل) قد وردت في آيات القرآن بصيغة المذكر تارة وبصيغة المؤنث تارة أخرى^(٨). وأرى أن اعتماد الرأي الأول أسلم وأكثر توافقاً مع السياق لأنّ غاية المُضِلِّ هو التضليل عن قراءة آيات الكتاب، إضافة إلى ذلك فإن (سبيل الله) يمكن أن تشتمل على آياته وأحكامه ودينه - والله أعلم -.

قوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ هنا بيان عاقبة المُضِلِّين، وقد وصف العذاب ب (المهين) إشارة وتلميحاً إلى معنى الخلود وإن لم يصرح به^(٩) وهو من لطائف التعبير القرآني، وإنّ العقوبة جاءت متناغمة مع الذنب الذي اقترفوه، فهؤلاء استهانوا بآيات الله فكان عذابهم مهيناً أليماً، وربط بين كلّ هذه الدلالات باسم الإشارة (أولئك) لما فيه من قوة الربط والتأكيد^(١٠).

ومن بديع ما يلحظ هنا تنوع الأسلوب وانتقاله من المفرد (مَنْ يشتري، مَنْ يضل، يتخذها) إلى الإشارة بالجمع (أولئك) وهو أسلوب يمنح المتلقي من الملل نتيجة الرتابة والتنغيم على وتيرة واحدة وفيه دلالة الجمع لهؤلاء في العقوبة المحتملة^(١١). ومن جميل ما يلحظ إنّه قال تعالى في سورة البقرة في بيان عاقبة الكافرين: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١٢) وفي سورة لقمان: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(١٣) وما هذا

(١) ينظر: الدر المنثور: ٦١٣/١١.

(٢) البقرة: ١٦.

(٣) ينظر: تفسير المراغي، المراغي: ٥٠٣. المستدرک في الصحيحين، النيسابوري: ٤٤٥/٢.

(٤) ينظر: تفسير القرطبي: ٥٣٦/٧.

(٥) ينظر: وسائل الشريعة، العاملي: ٢٢٥/١٢-٢٢٧.

(٦) ينظر: الأمثل: ١٦/١٣.

(٧) الفاتحة: ٧.

(٨) ينظر: المحرر الوجيز: ٤٠/٧.

(٩) ينظر: الأمثل: ١٥/١٣.

(١٠) ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(١١) ينظر: وسائل الشريعة: ٢٢٨/٢.

(١٢) البقرة: ٧.

(١٣) لقمان: ٦.

التباين في الوصف إلا لعظمة ما اقترفه الكافرين، فقد منحوا فرصة الهداية للإيمان بتحقيق الإنذار إلا إتهم على الرغم من ذلك أصروا إلا أن لا يؤمنوا وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَوَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بِعَذَابِ آلِيمٍ﴾ استمرار لوصف الفئة الضالة والمضلة وبيان لردة فعلهم أمام آيات الذكر الحكيم، وفيه تأكيد لرأينا السابق في أن الضمير في (يتخذها) عائد إلى (آيات الكتاب) إذ قال مصرحاً ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾^(٢).

ومما يلحظ أنه قال: (تتلى) ولم يقل: (تقرأ) فلم ذلك؟ إن الراغب الأصفهاني أجاب على ذلك بأدق تعبير إذ قال: ((التلاوة تختص باتباع كتب الله المنزلة... ولم يقل (قرأ)؛ لأن التلاوة أخص من القراءة، فكل تلاوة قراءة وليس كل قراءة تلاوة))^(٣)، وكذا قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾^(٤)، ومنه نفهم دلالة اختصاص اللفظ بمعنى يرتبط به دلاليًا.

قوله ((ولى مستكبراً)) جواب (إذا)، والتعبير بالحال (مستكبراً) فيه إشارة واضحة إلى أن إعراضه لم يكن نابعاً من تضرر مصالحه الدنيوية، بل إن الأمر أكبر من ذلك؛ لأن فيه دافع التكبر أمام عظمة الله وآياته، وهو أعظم ذنب^(٥)، ولذا جاء التشبيه موثماً إذ شبهه بالأصم الذي لا يسمع ومن شدة فقدانه لحاسة السمع أمتنع عن الكلام، وهو ما دل عليه قوله تعالى: ﴿كَأَنَّ لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾^(٦)، أي: ثقلاً يمنعه من السماع^(٧)، ومن لطائف الذكر هنا استعمال أداة التشبيه (كأن) في حالتها: التخفيف مرة والتشديد في الأخرى إذ دلّ التثقل في الأداة على المناسبة للثقل في معناه وهو (الوقر)^(٨) ولا نغفل الموائمة بين (لهو الحديث) في الآية السابقة وبين عبارة (كأن لم يسمع)، فالحديث: كل كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع^(٩)، فياله من تناسب.

أضف إلى ذلك ضرب التشبيه الذي وظف في هذه الآية، إذ استند على طرفين محسوسين؛ لتعميق فكرة الضلال والدلالة على تمكنها من هؤلاء المضلين، وما كان محسوساً كان أقوى دلالة وبياناً^(١٠).

قوله: ﴿فَبَسَّرَهُم بِعَذَابِ آلِيمٍ﴾ فيه من النكت البلاغية ما يدل على التفرد القرآني، فقد عبر بـ (بشر) في مورد العذاب تناسباً مع عمل المستكبرين المستهزئين، إذ جاء الفعل على وزن (فعل) الدال على الكثرة والتأكيد والمبالغة^(١١)، وهي دلالات متفقة مع جرمهم، ومع أن البشرى تقال لما يسر فقد عبر عنها فيما يضر، عن طريق الاستعارة والغرض منها التهكم^(١٢)؛ لأن البشرى خير سار، ومجيئها في سياق العذاب بمدلول مغاير مفاده: التبشير بما يضر ولا يسر تهكماً، ومثاله قوله تعالى: ﴿فَبَسَّرَهُم بِعَذَابِ آلِيمٍ﴾^(١٣)، وقوله تعالى: ﴿وَيَسِّرُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ آلِيمٍ﴾^(١٤)، ومجيء الفعل بصيغة الأمر الفردية (بشر) وقبلها (ولى، يسمعا) بصيغة الماضي والمضارع المفردين، ألبست النص لباساً بلاغياً غاية في الدقة، إذ من غير الممكن عد الحديث موجهاً لفرد واحد قد يكون (النضر بن الحارث) أو غيره كما قال المفسرون - وإنما هو تعبير بصيغة الإفراد أريد به الجمع للتعميم -، ف (من) في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي﴾ جيء بها لدلالة الإيهام التي تقع على الواحد والجمع وهو ما يصح على النضر وأتباعه^(١٥).

(١) البقرة: ٦.

(٢) لقمان: ٧.

(٣) مفردات الفاظ القرآن، مادة (تلى): ٢٥٦.

(٤) الأنفال: ٣١.

(٥) ينظر: تفسير الجلالين: ٤٧٢/٧.

(٦) لقمان: ٧.

(٧) تفسير مجاهد، ابن مجاهد: ٥٤١/١.

(٨) ينظر: الأمثل: ١٦/١٣.

(٩) ينظر: تفسير الرازي: ٢٦٢/١٢.

(١٠) ينظر: جواهر البلاغة: ٤٤. البلاغة الواضحة، علي الجازم ومصطفى أمين: ٣٦.

(١١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٠٨/٣٠.

(١٢) ينظر: تفسير مجمع البحرين، الطريحي: ٢٢١/٣.

(١٣) التوبة: ٣٤، آل عمران: ٢١.

(١٤) التوبة: ٣.

(١٥) ينظر: تفسير الدر المنثور: ٦١٣/١١. الأمثل: ١٧/١٣.

ثم إنَّ التعبير بـ (ولى) كان مستوجِباً لمعنى التكبر دون غيره من الألفاظ؛ لاقتضائه معنى الإعراض، وقرب ما استدعى إليه، وهذا غالباً ما يكون إذا عُديَّ بـ (عن) لفظاً أو تقديرًا^(١) - وهو موضع البحث - فكأنَّهُ قال: (ولى مستكبراً عن سماعها)، فكان وصف فاعله بالأصم أكثر تناسقاً في المعنى لشموله إياه بمعنى (وإذا تقرأ آياتنا ترك الإصغاء إليها كأنه أصم)، وكلّ هذه المقدمات الأسلوبية تجتمع في نتيجة واحدة ألا وهي: (البشْرَى بالعذاب الأليم)، فتأمل ذلك!؟

ومما يلفت النظر في هذا النص توافقه وتناسبه مع النص الثاني المقابل له من سورة البقرة، فالحديث فيه عن جماعة الكافرين من المضلين والضالين، وبيان عاقبتهم وهو الحديث ذاته في سورة لقمان عن جماعة الكافرين وبيان عاقبتهم؛ وكلا النصين قاما على أسلوب البيان ثم التعقيب^(٢) نحو: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ يَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾^(٣)، و ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَ لِيَ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٤) -لقمان-، و ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٥) و ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٦) -البقرة-.

ومن لطائف التماسك والانسجام بين النصين (التمائل الدلالي) في الشواهد المستعملة داخل النص، ونعني بذلك استخدام الحواس كمثال تشبيهي دقيق، ففي سورة لقمان مثل لفظة الكافرة بحاسة السمع التي منعها الوقر من الهداية وهي (الأذن)، وفي سورة البقرة مثل لها بالغشاوة التي منعت الكافرين من الاهتداء والتي طغت على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم فكانت النتيجة أن ختم الله على حواسهم؛ لتتحقق الكفر فيهم.

ولعلَّ في توظيف الحواس الثلاث في سورة البقرة، واقتصار الاستعمال على حاسة السمع في سورة لقمان، نكتة أسلوبية نلمحها من دلالة الإنذار والتسوية والتي مع توافرها لم تحقق الهداية، فكان التعبير بهذا الكم من الحواس مؤامراً لهذا الكم من العناد وعدم الخضوع وذلك قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٧).
النص الثالث:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿١٠٣﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. جاءت هاتان الآيتان في نصٍّ متكامل مضمونه وصف حال المؤمنين وفيه مقارنة غير مباشرة مع الذين كفروا واشتروا الضلالة بالهدى في النص السابق، كما أنَّ هذا النص يعدُّ مكملًا و متممًا لما ورد في النص الأول من السورة التي تحدثت عن المحسنين والإلا كيف يتصور المؤمن غير مُحسن أو المُحسن غير مؤمن؟! فقله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾، بصيغة الفعل، ولم يقل: المؤمنين، بصيغة الاسم، تحقيقاً لصفة تحقق الإيمان بهذه الفئة على وجه الخصوص^(٨)، فلو قال: (المؤمنون) لشمّل كلَّ مؤمن وليس كلَّ مؤمنٍ مصيره إلى الجنة. وفي تقديم شبه الجملة (لهم) على لفظة (جنات) دلالة التخصيص والعناية والاهتمام^(٩)، وفي تقديم لفظة (جنات) وإضافتها إلى لفظة (النعيم)، معاكسة للمبالغة في الثواب والأصل (نعيم الجنات)^(١٠)؛ ولعلَّ الفاصلة القرآنية ورعايتها من أجل تحقيق جرس موسيقي متناغم دلاليًا مع رؤوس الآي كانت عاملاً مهماً لهذا الإبدال الدلالي - إن جاز لنا التعبير -.

ومن لطائف التعبير القرآني في هذا النص وسابقه - أي النص الثاني - ما نلاحظه من مجيء لفظة (العذاب) مفردة، أما لفظة (الجنات) فقد جيء بها على صيغة الجمع، وما ذلك إلا إشارة إلى أنّ الرحمة واسعة أكثر من العذاب، فناسب الكم النوع^(١١)، أضف إلى

(١) ينظر: الأمل: ١٧/١٣.

(٢) ينظر: نظرية النص في تفسير القرآن الكريم: ٣٩.

(٣) لقمان: ٦.

(٤) لقمان: ٧.

(٥) البقرة: ٦.

(٦) البقرة: ٧.

(٧) البقرة: ٧.

(٨) ينظر: تفسير الألوسي: ١٨٦/٦. نظرية النص في تفسير القرآن الكريم: ٣٧.

(٩) ينظر: جواهر البلاغة: ٦٢.

(١٠) تفسير الجلالين: ٤٧٨/٧.

إلى ذلك تتكبر لفظة (العذاب) في قوله: (بعذاب أليم، عذاب مهين)، وتعريف الجنة عن طريق الإضافة إلى المعرف في قوله تعالى: ﴿جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ وما ذلك إلا إشارة إلى أن الرحيم يبين النعمة ويعرفها إيصالاً للراحة إلى القلب، ولا يصرح بالنقمة وإنما ينبه عليها تنبيهاً^(٢).

ثم إنّه تبارك وعلا لم يقل: ((فبشرهم بجنات النعيم)) مع قبول النص لهذا المعنى إلا إن النكتة في ذلك لما في معني الإشارة من التعظيم فهي لا تكون إلا بأعظم ما يكون^(٣) كما في قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾^(٤)، فأنظر كيف جاءت البشارة ب (الرحمة والرضوان وجنات النعيم)، وبإيها من نعيم!

قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال من الضمير في (لهم) أو من (جنات النعيم) والعامل ما تعلق به اللام^(٥)، والمعنى الأول أقرب؛ لأنّ حالهم هذه نتيجة أعمالهم الصالحة، والجنة جزء لهم لا وصفاً لعملمهم - والله أعلم - . قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ مصدران مؤكدان الأول لنفسه والثاني لغيره؛ لأنّ قوله تعالى: ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ وعد وليس كل وعد حقاً^(٦)، وبمعنى آخر إن الأول مؤكد لنفسه، والثاني مؤكد لغيره، لأنّ قوله تعالى: ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ بمعنى: وعدهم الله جنات النعيم، فأكد معنى الوعد بالوعد، أما (حقاً) فدلّ على معنى الثبات والالتزام^(٧).

ومن لطائف التعبير هنا إنّه لما ذكر العذاب في النص السابق لم يصرح بأنهم خالدون، وإنما أشار لذلك بقوله (مهين) - كما ذكرنا - أما هنا فقد صرح بالثواب لذا قال: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ وكذا الحال في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾، فقد استغنى عنه في سياق العذاب ولم يذكره، أما هنا فقد ذكره بأسلوب التأكيد وما ذلك إلا ترغيباً للمؤمنين بأن يخشوا ويعملوا صالحاً، وترهيباً للكافرين المضلين بصورة عامة^(٨)، ولا تغفل أنّ عبارة (فبشره بعذاب) فيها صيغة الأمر للغير، أما عبارة (وعد الله) فدالة على الذات الإلهية بنفسها لا بالغير، كما أنّ فيها تأكيد لحقيقة أنّ الله سبحانه وتعالى قريب من المؤمنين المتبعين أحكامه وتعاليمه كحبل الوريد للإنسان ذاته، وبعيد عن بعد وعقل عنه، وهو ما يوافق مجيئها على وزن (فعل) الذي فيه دلالة المحتوى^(٩).

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ختام للنص كدليل على تحقق الوعد وانتهائه بوصفين الأول (العزير ذي المنعة والمتقدر بقدرته^(١٠))، و (الحكيم) لتأكيد دلالة الحكمة التي ابتدأت بها السورة وتناسقت حتى مثلت محورها العام، فلا يمكن أن يتصور أمر صادر من الذات الإلهية إلا وكان من ورائه حكمة^(١١).

ولابد لنا من وقفة في مضمون النص الثالث من سورة لقمان ومقارنته بالنص الثالث من سورة البقرة، فكما قلنا إنّ النص الثالث هنا محوره فئة المؤمنين وبيان عاقبتهم، وهو محور يوائم النص الأول من السورة ذاتها؛ لأنّ الإيمان شرط لتحقيق الإحسان، والإحسان شرط لرسوخ الإيمان فضلاً عن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة واليقين باليوم الآخر، ولطيف أن نلمح التناسب ذاته في سورة البقرة بنصوصها الثلاثة، فالنص الأول منها تضمن الحديث عن المتقين وصفاتهم وبيان عاقبتهم، وجاء النص الثاني ليتحدث عن فئة الكافرين، ثم جاء النص الثالث ليتحدث عن فئة المنافقين، ولا انفكاك في ذلك، فالمنافقين جزء لا يتجزأ من الكافرين، فالكافرين لا يؤمنون بالله، والمنافقين يقولون آمنا وما هم بمؤمنين فالنتيجة (كافرين)؛ وكذا الحال في سورة لقمان، فالنص الأول عن المحسنين، والنص الثاني عن الكافرين، والثالث عن المؤمنين الذين من صفاتهم أنهم محسنون فياله من بنيان دلالي رصين متفرد؟!.

(١) ينظر: الأمل: ١٣/١٨.

(٢) ينظر: تفسير المراغي: ٣٦٥/٢١.

(٣) ينظر: تفسير القرآن الكريم، ابن عثيمين: ١٢٥.

(٤) التوبة: ٢١.

(٥) ينظر: الكشف: ١٠/٥.

(٦) ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٧) ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٨) ينظر: تفسير العثيمين: ١٢٥.

(٩) ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(١٠) ينظر: تفسير البيضاوي: ٢٦٦/٥. البحر المحيط: ٦٠/٩.

(١١) ينظر: الأمل: ١٣/١٧. الكشف: ٢٧٥/٥.

النص الرابع

قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَ أَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

هاتان الآيتان تمثلان النص الرابع من سورة لقمان، ويتضمن الحديث عن أدلة التوحيد الذي يعدّ من أهم الأصول العقائدية.

قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ﴾ ولم يقل: (أنشأ أو أبتدع) وما يرادفهما من ألفاظ؛ لما في دلالة هذا اللفظ من معنى خاص بالتعبير القرآني يقول الراغب: ((حُصِّنَ الخَلْقُ بالهَيْئَاتِ والأشْكَالِ والصور المدركة بالبصر))^(١)، وهذا ما وُظِفَ فيه اللفظ في النص، فقد عُبرَ عن خلق السماوات وهي مدركة بالأبصار، فضلاً عن وصفها بجملة (ترونها)، هذا على عدّ أنّ الجملة الفعلية (ترونها) في محل جر صفة للعمد، أما إذا قُدِّرَت على أنها جملة فعلية مستأنفة لا محل لها من الإعراب؛ فإنّها دلالية تُعدّ من لوازم القول بحقيقة أنّ هذه السماء التي ترونها قد خُلقت من غير عمدٍ أي: بغير دعائم وأساطين تقيمها^(٢)، وهذا ما فسرتة سورة الرعد مسبقاً إذ جاء محتواها رداً على من نفي ذلك، ودليلاً على قدرة الخالق المعجز إذ قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا...﴾^(٣)، وكلتا الآيتين تعدّان من معجزات القرآن العلمية، إذ فيهما إشارة لطيفة لقانون الجاذبية الذي يبدو كعمود قوي يحفظ الأرض وما عليها إلا إته غير مرئي.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ انتقال بالحديث من العالم العلوي إلى العالم السفلي، وتميد أي: تتزلزل وتضطرب اضطراباً عظيماً^(٤)، وجملة (أن تميد بكم) في تقدير: لئلا تميد بكم، فهي تعليلية لبيان سبب تثبيت الجبال^(٥)، ومنها قوله تعالى: ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾^(٦)، وقوله تعالى: ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾^(٧).

قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ إشارة إلى قدرته تعالى في ايجاد ما لم يكن موجوداً وإظهاراً إياه، كما تعدّ دليلاً للتوحيد وحجة تمنع عبادة غيره؛ لذا جاء الوصف بهذه القدرة المعجزة في الإيجاد^(٨). ولا يفوتنا أن نذكر إنّ التعبير ب (من كلّ دابة) فيه إشارة واضحة إلى تنوع الحياة في صور مختلفة، فلولا الجبال ما استقرت الأرض ولما استقرت الكائنات الحية فيها. أما قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...﴾ جاءت للربط بين كل ما ذكر إلا إنّ فيها ملمح دلالي مفاده الضرورة؛ لأحياء موجودات الأرض^(٩).

ومن لطائف التعبير هنا أنّه في بيان خلق الأقسام الثلاثة الأولى ذُكرت الأفعال بصيغة (الغائب)، وعند انتقال الكلام إلى نزول المطر ونمو النباتات، جاءت الأفعال بصيغة (المتكلم)؛ أي: (أنزلنا، أنبتنا)، وهذا العدول من المغايبية إلى النفس فيه فصاحة وحكمة، فأما الفصاحة فمذكورة في باب الالتفات بلاغياً من أن السامع إذا استمع إلى كلام فيه إطالة وكان على نمط واحد سرى إليه الملل، أما إذا ورد عليه نمط آخر مغاير للأول استطابه ونزع عنه الرتابة^(١٠). قوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ فيه معجزة علمية تشير إلى مصطلح الزوجية أي الذكر والأنثى - في عالم النباتات^(١١) - وهذا ما فُصِّلَ في قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿وَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾^(١٢). ومن لطيف التعبير إنّه قال: ﴿زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ فلم وصف الزوج بالكريم ها هنا؟ نستطيع أن نفسر ذلك بالتعويل على معنى الكريم لغوياً إذ تعني: بالغ الجودة والنفاسة، كثير الخير والمنفعة^(١٣)، وهو ما يلائم تماماً سياق السورة ومحتواها ف

(١) مفردات ألفاظ القرآن، مادة (خلق): ٢٩٦.

(٢) ينظر: تفسير النسقي: ١٠٥/٣. تفسير القرطبي: ٢٧٩/٩.

(٣) الرعد: ٢.

(٤) ينظر: نظم الدرر: ٥٨/١٤. تفسير النسقي: ١٠٥/٣.

(٥) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٦) النحل: ١٥.

(٧) لقمان: ١٠.

(٨) ينظر: تفسير البيضاوي: ٤٩١/٤.

(٩) ينظر: تفسير البيضاوي: ٤٩١/٤. الأمثل: ١٩/١٣.

(١٠) ينظر: الأمثل: ١٩/١٣.

(١١) ينظر: تفسير البحر المحيط: ٨١/٧.

(١٢) الشعراء: ٧.

(١٣) ينظر: لسان العرب، مادة (كريم): ٥١٠/١٢.

(لقمان) أتاه الله الحكمة وهي من الفضائل البالغة النفاسة لأنها لا تمنح لأي شخص، ومن هنا كان الوصف بالكريم؛ لأن الكرم مناسب للحكمة وما فيها من الخير الكثير^(١).

قوله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ تحدٍ لهؤلاء الضالين بالإشارة التصريحية إلى مخلوقات الله، والاستفهام التعجيزي لما هم خالقين بقوله: ﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ...﴾ إذ استعمل اسم الإشارة (هذا) الذي منح الآية زيادة في التقرير بتأكيد النفي المقصود من الكلام^(٢)، كما نبه على سفول رتبتهم بقوله مضمراً؛ لأنه ليس فيما أسند إلى الاسم الأعظم حيثية يخشى من التقييد بها نقص^(٣)، ومجيء الحرف (بل) هنا للإضراب والانتقال من التقرير للتأكيد على النفي^(٤)؛ لأن جوابهم المؤكد هو: ليس لهم خلق (أي: تأكيد جوابهم)، وهذا هو السر البلاغي من وراء ربط الظلم بالظلال في قوله تعالى: ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾^(٥)؛ لأنه لما كان هؤلاء يربطون العبادة وتدبير الأمور بالأصنام مع إقرارهم بتوحيد الخالق، فإنهم كانوا يرتكبون أكبر ظلم وضلالة، فالظلم طريق للضلالة كما العدل طريق للهداية، ولذا وصفه بـ (المبين) أي الواضح^(٦).

ومن بديع التماسك النصي والتناسب الدلالي ما نلاحظه من ترادف موضوعي بين النص الرابع من سورة البقرة والنص قيد البحث، إذ قال تعالى في سورة البقرة بعد أن ذكر أصناف الناس: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُندَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ^(٧). وفي سورة لقمان قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَ أَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ رَوْحٍ كَرِيمٍ﴾^(٨). فيأله من تناسب!!

النص الخامس

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

هذا نص متكامل مضمونه (لقمان) الحكيم، كأنموذج للحكام المؤمنين المؤخدين، وهو هنا يمثل آية من آيات الذكر الحكيم التي وردت في مقدمة السورة (تلك آيات الكتاب الحكيم)^(٩)، فإذا كان القرآن حكيماً، استلزم ذلك أن يكون المؤمن به وبما جاء في مضمونه حكيماً وهو لقمان الذي اشتهر بل طبع بهذه المزية.

إذن مَنْ هو لقمان؟

كان رجلاً صالحاً حكيماً، ولم يردَّ إنه كان نبياً^(١٠)، ولو تمحصنا أسلوب القرآن الكريم في الحديث عن الأنبياء وسرد قصصهم، لأدركنا حقيقة إنه لم يكن نبياً؛ لأن أسلوب القرآن في شأن الأنبياء عادة ما يدور حول الرسالة والدعوة إلى التوحيد وبشارة الأمم أو إنذارها، في حين أنَّ أياً من هذه الأمور لم يذكر في شأن (لقمان) والذي ورد هو مجموعة مواضع خاصة أخذت شكل الوصايا لابنه مما يدل على أنه كان رجلاً حكيماً وحسن^(١١)؛ ومن الجدير بالذكر إنه لم يرد اسمه في القرآن إلا مرتين فقط وفي هذه السورة خاصة وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ﴾^(١٢) وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ﴾^(١٣).

(١) ينظر: تفسير الرازي: ٣٦٥/٧ و ٤٦١/١١.

(٢) ينظر: الأمتل: ١٩/١٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي: ٤٩١/٤، الأمتل: ٢٠/١٣.

(٥) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٦) ينظر: لسان العرب، مادة (بان): ٦٢/١٣.

(٧) البقرة: ٢٢.

(٨) لقمان: ١٠.

(٩) لقمان: ٢.

(١٠) ينظر: تفسير البغوي: ٢٨٦/٦.

(١١) ينظر: ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود العمادي: ٢٩٥/٥. تفسير مقاتل، ابن مقاتل البلخي: ٥٥/٣.

(١٢) لقمان: ١٢.

(١٣) لقمان: ١٣.

قال تعالى: ﴿أَتَيْنَا﴾ على وزن (فاعلنا) الدال على المشاركة بين طرفين وفيه من دلالة المعاملة والمطاوعة الشيء الكثير^(١)، ف (أتينا في اللغة هي العطاء القابل للأخذ)^(٢)، هذا إذا لم يطع الطرف الآخر (الأخذ) المعطي، وبما أن لقمان كان آخذاً للحكمة ومُتطيعاً بها فاستحق أن يؤتى دون سلب، ومجيء الضمير (نا) الدال على الجماعة نحوياً، والدال على مقام التعظيم والمبالغة بلاغياً^(٣)، جاء موائماً لمقام الحديث وبيان عظمة العطاء حينما يكون من الذات الإلهية إلى الذات البشرية المستحقة والتي مهد بها لقوله فيما بعد: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾^(٤)، و (الحكمة) هي العطية المُستحقة والتي بينا معناها في مقدمة بحثنا، ونستطيع إيجازها هنا بأنها: العقل والفتنة وإصابة القول^(٥).

قوله تعالى: ﴿أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ اختلف المفسرون في بحث أنه هل يوجد لجملة (أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ) شيء مقدّر أم لا؟ فالبعض يعتقد أن جملة (قلنا له) مقدرة قبلها، والبعض الآخر يقول: الجملة لا تحتاج إلى تقدير، و (إن) هنا هي (أن) التفسيرية؛ لأن الشكر بنفسه عين الحكمة، والحكمة عينه^(٦)، وكلا التفسيرين يمكن قبوله، إلا إننا نذهب مع الرأي الثاني، لما عهدنا في التعبير القرآني من الإيجاز البليغ، فضلاً عن دلالة (أَنْ) المفسرة فهي دلالة أوجزت ما يدور حول النص.

ولمجيء فعل الأمر (اشكُرْ) نكتة بلاغية جميلة، فقد خرج هنا عن دلالة الطلب باللفظ إلى دلالة أمر التكوين^(٧). كما أنّ اللام في (أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ) هي لام الاختصاص، و (اللام) في (لنفسه) لام النفع^(٨). وبناءً على ما تقدم قول بين العبارتين (مَنْ يشْكُرْ) و (مَنْ كَفَرَ) ليدلّ على أنّ نفع الشكر لم يشكر، ومن لم يشكر فإنّ مضرة الكفر تحيق به فقط^(٩).

ومن لطائف التعبير ما نلمحه من مجيء لفظة (الشكر) بصيغة المضارع (يشكُرْ) الدال على الاستمرار والتجديد^(١٠)، ومقابل ذلك مجيء لفظة (الكفر) بصيغة الماضي الذي يصدق حتى على المرّة الواحدة^(١١)، وفيه إشارة إلى أنّ الكفر ولو لمرة واحدة يمكن أن يؤدي إلى عواقب وخيمة، أما الشكر فإنه لازم ويجب أن يكون مستمراً في السراء والضراء وهذا ما دلّ عليه المضارع.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ جملة إخبارية توكيدية لما سبق ذكره، اما الربط بين كلمتي (غني) و (حميد) فقد جاء متسقاً مع المحتوى، فيما أنّ الشكر مخصص لله، فهذا واجب على العباد لأنه غني عنه، بدليل عودة النفع على الإنسان من جراء شكره لله^(١٢)، أما (حميد) فجيء بها لتدلّ على أنه تعالى حقيق بالحمد وإن لم يُحمد سواء (كفر العبد نعمته أو شكر عليها) ولذا جاءت اللفظة على وزن (فعليل) من الصفة المشبهة الدالة على الثبات واللزوم، والمعدول بها عن (فاعل ومفعول) للمبالغة في الوصف^(١٣)، وما دلّ على دالّتين أبلغ من أن يدلّ على أحدهما.

ومن بديع التناسب أيضاً، ما نجده من تلاحم دلالي وترابط نصي بين النص الخامس من سورة البقرة والنص الخامس من سورة لقمان، فبعد ان كان الحديث في البقرة عن أصناف الناس في ضوء موضوع الإيمان وتقسيمهم على وفقه على: متقين، وكافرين، ومناققين، وذكر صفات المؤمنين وبيان عاقبتهم والانتقال إلى الحديث عن أدلة التوحيد وموجبات العبادة، وبما أنّ الغرض لم يتحقق لقوله: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١٤)، فكان لزاماً أن يمثل له بأنموذج دالّ على فحوى هذه الحقيقة فكان النص

(١) ينظر: معاني الأبنية في العربية، الدكتور فاضل صالح السامرائي: ٦٤.

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (اتي): ٥٨٨/٢.

(٣) ينظر: جواهر البلاغة: ٧٢.

(٤) ينظر: تفسير أبي السعود: ٣٩٥/٥.

(٥) ينظر: تفسير تنوير المقابيس، ابن عباس: ٤٣٠/١١.

(٦) ينظر: تفسير الوسيط، لسيد طنطاوي: ٣٣٦/١. تفسير النسقي: ١٠٦/٣.

(٧) ينظر: تفسير الرازي: ٢٦٦/٢.

(٨) ينظر: التحرير والتنوير: ١١٩/١١. الأمثل: ٢٠/١٣.

(٩) ينظر: تفسير الوسيط: ٣٣٦٢/١.

(١٠) ينظر: التحرير والتنوير: ١١٩/١١.

(١١) ينظر: تفسير الرازي: ٢٦٧/١٢.

(١٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١١٩/١١.

(١٣) ينظر: تفسير البيضاوي: ٤٩٢/٤. تفسير النسقي: ١٠٦/٣.

(١٤) البقرة: ٦.

الخامس الذي خصّ بالحديث عن بني اسرائيل إنموذجاً لأئمة الكفر والعصيان والذي يتمثل بقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَ إِيَّايَ فَارْهَبُونَ﴾^(١).

أما في سورة لقمان فبعد الحديث عن أصناف الناس في ضوء الإيمان وتقسيمهم على: محسنين، مُضلين، بيان عاقبة المحسنين وذكر صفاتهم، والانتقال إلى الحديث عن أدلة التوحيد وتفرد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، وأنه وحده الذي يستعان به وبيان قدرته في خلق السموات والأرض، ووجوب الشكر له وحده على هذه النعم، فكان لزاماً أن يمثل لذلك بأنموذج دالّ على فحواه فكان (لقمان) الحكيم الذي تمثل في النص الخامس من السورة التي سميت باسمه تكريماً لشخصه والتي تتمثل بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾^(٢). فياله من نظمٍ! وما اعظمه من ناظم!!

وحسبنا بما ذكره الدكتور (محمد كاظم البكاء) كافياً شافياً؛ لما هدفنا إلى بيانه إذ قال: ((فانتظام القرآن الكريم في نصوص متألفة خارق للعادة؛ فليس من الميسور أنك تتصور جمع هذه الآيات في نصوص متتابعة، وخطاب ابلاغي متكامل بالرغم من تفاوت أسباب النزول، وتفاوت الأزمنة والظروف))^(٣).

الخاتمة:

لعلّ أبرز ما توضح لنا من بحثنا ما يأتي:

١. يعدّ القرآن الكريم أوضح ميدان تطبيقي لماهية علم اللغة النصي، فتواتر سوره بإطار نصّي منسجم كشف الكثير من أسرار اللغة التي يقوم عليها علم النص واللسانيات أجمع.
٢. أوضح التناسب والتلاحم الدلالي بين أي الذكر الحكيم ونصوصه الإعجاز المنهجي الذي ينماز به القرآن الكريم، ونعني به التآلف والتماسك الموضوعي الذي يربط النصوص الكريمة بعضها ببعض، حيث تسري فيها روح واحدة، مهما اختلف فيما بينها في أسباب النزول، والأزمان والأماكن، ومهما تعددت موضوعاتها وتنوعت أغراضها.
٣. أكدّ البحث على أهمية الأسلوب الموازن في تحليل وتفكيك بنية النص اللغوي، فبالموازنة الموضوعية تتفتح آفاقاً تحليلية وتتفكك رموزاً نصية، لتتحول إلى مدلولات يستعان بها في بيان وتفسير ما هو مبهم.
٤. أكدّ البحث على أهمية وظيفة اللغة التواصلية والإخبارية والتي تتأتى من خلال النظرة الشاملة إلى اللغة على هيئة نصوص يكمل بعضها بعضاً؛ لتحقيق فهم وتصوّر كامل لمحتواها، وما تحتويه من روابط (لفظية ومعنوية) تخدم النص في إطاره العام والخاص على السواء. وهذا يتأتى من خلال توظيف علوم اللغة أجمع من صرف وصوت ونحو ودلالة في هيكل نصي موحّد.

المصادر

القرآن الكريم.

١. ابنية الصرف في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٦٥م.
٢. ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ابي السعود العمادي (ت ٩٨٢ هـ)، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠١٠م.
٣. الاعجاز الصرفي في القرآن الكريم، عبد الحميد أحمد يوسف الهنداوي، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع.
٤. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.
٥. بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، القاهرة، الشركة العالمية المصرية للنشر، لون اجمان، ١٩٩٦م.
٦. البلاغة الواضحة ودليل البلاغة الواضحة، علي الجازم ومصطفى أمين، دار المعارف للنشر، ٢٠٠٨م.
٧. تفسيرالأمام مجاهد، مجاهد بن جبر، تحقيق: محمد عبد السلام ابو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديث، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

(١) البقرة: ٤٠.

(٢) لقمان: ١٢.

(٣) نظرية النص في تفسير القرآن الكريم: ٩.

٨. تفسير البحر المحيط، ابي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)، تحقيق: عادل أحمد وعلى معوض، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
٩. تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار أحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
١٠. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ٢٠٠٨م.
١١. تفسير الجلالين، لجلال الدين محمد أحمد المحلي (ت ٨٦٤ هـ) وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، الطبعة الأولى، دار الحديث، القاهرة، ٢٠١٠م.
١٢. تفسير الدر المنثور في التعبير المأثور، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
١٣. تفسير الرازي (مفاتيح الغيب - التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي (ت ٦٦ هـ)، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.
١٤. تفسير السعدي المسمى تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي (ت ١٣٧٦ هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن معلا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
١٥. تفسير القرآن العظيم، للأمام ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر، ١٩٩٩م.
١٦. تفسير القرآن الكريم (تفسير العثيمين)، محمد بن صالح العثيمين، من إصدارات مؤسسة الشيخ العثيمي الخيرية.
١٧. تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، الناشر مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الأولى، ١٩٤٦م.
١٨. التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
١٩. تفسير بحر العلوم، نصر بن محمد السمرقندي، تحقيق: الدكتور محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، ٢٠١١م.
٢٠. تفسير مقاتل بن سليمان، ابو الحسن مقاتل بن سليمان الأزوي البلخي، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار أحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.
٢١. تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن ابي بكر البقاعي (ت ٨٨٥ هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ٢٠١٠م.
٢٢. تنوير المقاييس من تفسير بن عباس، لعبد الله بن عباس (ت ٦٨ هـ)، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ)، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
٢٣. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير ابو جعفر الطبري (ت ٣١٠ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
٢٤. الجامع لأحكام القرآن، شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٤م.
٢٥. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
٢٦. خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم، تمام حسّان، مطبعة ابناء وهبة حسّان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
٢٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ)، تحقيق: علي عبد الباري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
٢٨. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م.
٢٩. علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن البحيري، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٣٠. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ابو القاسم محمود الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠١٠م.
٣١. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري (ت ٧١١ هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ.
٣٢. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
٣٣. مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٦م.
٣٤. مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مكتبة المرتضوي، الطبعة الثالثة.
٣٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢ هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
٣٦. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد بن محمود النسقي، تحقيق: يوسف علي بديوي ومحي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
٣٧. المستدرک على الصحيحين في الحديث، محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.
٣٨. المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، تأليف جماعة من العلماء بإشراف صفي الرحمن المباركفوري، دار السلام، الرياض، ٢٠١٣م.
٣٩. معالم التنزيل في تفسير القرآن، محي السنة ابو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠ هـ)، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٩٩٧م.
٤٠. معاني الأبنية، الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار عمار، الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.
٤١. معجم مفردات القرآن الكريم، الراغب الاصفهاني (ت ٢٠٥ هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم الدار الشامية، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٩م.
٤٢. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ)، منشورات شبكة الفكر الإسلامية، ٢٠١٦م.
٤٣. نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، مكتبة الزهراء، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
٤٤. النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٨م.
٤٥. نظرية النص في تفسير القرآن الكريم نحو ثقافة النص وكشف عن الاعجاز المنهجي، الاستاذ الدكتور محمد كاظم البكاء، اصدارات الهيئة الثقافية العليا لمكتب السيد الشهيد الصدر (قدس)، مركز الهدى الثقافي، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
٤٦. نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، حسام احمد فرج، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
٤٧. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

الرسائل والإطاريح:

١. بنية النص في سورة الكهف مقارنة نصية للاتساق والسياق، شعيب محمودي، رسالة ماجستير، جامعة منشوري، ٢٠١٠م.

Sources:

The Holy Quran.

- 1.The Sewage Buildings in Sebwayh's Book, Khadija al-Hadithi, Nahda Library Publications, Baghdad, First Edition, 1965.
2. Guide the sound mind to the merits of the Holy Book, Abi Al-Saud Al-Emadi (٩٨٢AH), House of Arab Heritage, Beirut, 2010.
3. The Miraculous Miracles in the Holy Quran, Abdul Hamid Ahmed Yousuf Al Hindawi, The Modern Library of Publishing and Distribution.

4. Optimizing the interpretation of the book of God's house, Sheikh Nasser Makarem Shirazi.
5. Speech and Text Education, Salah Fadl, Cairo, Egyptian International Publishing Company, Lone Egman, 1996.
6. Clear rhetoric and evidence of clear rhetoric, Ali al-Jazem and Mustafa Amin, Dar al-Ma'aref Publishing, 2008.
7. Interpretation of Imam Mujahid, Mujahid ibn Jabr, Inquiry: Muhammad Abdulsalam Abu Al-Nile, Modern Islamic Thought House, First Edition, 1989.
8. Explanation of the Ocean Sea, Abi Hayyan Andalusi (v.745e), investigation: Adel Ahmed and Ali Moawad, First Edition, 1993.
9. Tafseer al-Baydawi called the download lights and the mysteries of interpretation, Nasir al-Din ibn Muhammad al-Shirazi al-Baydawi (v. 685AH), investigation: Mohammed Abdul Rahman al-Marashli, Dar al-Arab Heritage, Beirut, first edition, 1418.
10. Interpretation of Liberation and Enlightenment, Mohamed Eltaher Ben Ashour, Tunisian Publishing House, 2008.
11. Tafsir al-Jalalin, Jalal al-Din Muhammad al-Muhadi (864) and Jalal al-Din al-Suyuti (d. 911e), first edition, Dar Al Hadith, Cairo, 2010.
12. Tafsir al-Durr al-Manthour in the famous expression, Jalal al-Din al-Suyuti (p.911e), investigation: Abdullah bin Abdul Mohsen al-Turki, Hager Center for Arab Research and Studies, first edition, 2003.
13. Tafseer al-Razi (The Keys of the Unseen - The Great Interpretation), Fakhr al-Din al-Razi (d. 66e), Dar al-Fikr, first edition, 1981.
14. Tafseer al-Sa'adi, Taysir al-Rahman al-Rahman in the interpretation of the words of mannan, Abd al-Rahman al-Sa'di (v.1376), investigation by Abdul Rahman bin Mualla, Al-Resala Foundation, first edition, 2000.
15. Interpretation of the Great Qur'an, Imam Ibn Katheer, investigation: Sami bin Mohammed Salama, Taiba Publishing House, 1999.
16. Interpretation of the Quran (Tafsir al-Uthaymeen), Muhammad bin Saleh al-Othaimeen, published by Sheikh Al-Othaimi Charitable Foundation.
17. Tafsir al-Maraghi, Ahmad Mustafa Al-Maraghi, Publisher Mustafa Al-Babi Al-Halabi in Egypt, first edition, 1946.
18. Intermediate Interpretation, Mohamed Sayed Tantawy, Dar Nahdet Misr for Printing and Publishing, Fajgala, Cairo, First Edition, 2010.
19. Interpretation of the Sea of Sciences, Nasr bin Mohammed Al-Samraqandi, investigation: Dr. Mahmoud Matraji, Dar Al-Fikr, Beirut, 2011.
20. Explanation of fighter Ben Sulaiman, Abulhasan fighter bin Sulaiman Azawi Balkhi, investigation: Abdullah Mahmoud Shehata, Dar Al-Arab Heritage, second edition, 2002.
21. Interpretation of the systems of Aldar in the suitability of the verses and the Wall, Ibrahim ibn Umar ibn Abi Bakr al-Beqai (T886e), Dar al-Kitab al-Islami, Cairo, 2010.
22. Enlightening the measurements of the interpretation of Ibn Abbas, Abdullah bin Abbas (68e), Majd al-Din Muhammad ibn Yaqoub al-Fayrouzabadi (817AH), Dar al-Kuttab Al-Alami, Lebanon, first edition, 2011.
23. Al-Bayan Mosque on the Interpretation of the Qur'an, Muhammad bin Jarir Abu Jaafar al-Tabari (310CE), investigation: Dr. Abdullah bin Abdul Mohsen al-Turki, Dar Hijr for Printing and Publishing, first edition, 2001.
24. The Collective of the Provisions of the Qur'an, Shams al-Din al-Qurtubi (671AH), investigation: Ahmad al-Bardouni and Ibrahim Atfish, Egyptian Book House, Cairo, third edition, 1964.
25. Jawaher Al-Balajah in the meanings, the statement and the Badi'a, Mr. Ahmed Al-Hashemi, Modern Library, first edition, 1999.

26. Thoughts on the contemplation of the language of the Holy Quran, Tammam Hassan, Wahba Hassan Press, First Edition, 2006.
27. The Meaning of the Meanings in the Interpretation of the Great Qu'ran and the Seven Moths, Shahab al-Din Mahmood al-Alusi (1270AH), investigation: Ali Abd al-Bari, Dar al-Kuttab al-Alami, Beirut, first edition, 1415AH.
28. Textual Linguistics between Theory and Practice, Subhi Ibrahim Al-Faqi, Dar Qabaa for Printing and Publishing, 2000.
29. Text Language Science Concepts and Trends, Said Hassan El-Beheiry, Egyptian International Publishing Company, Cairo, First Edition, 1997.
30. The search for the facts of the mystery of the download, Abu al-Qasim Mahmud al-Zamakhshri (538AH), Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, third edition, 2010.
31. Lansan Al-Arab, Muhammad ibn Makram bin Ali bin Manzoor al-Ansari (711AH), Dar Sader, Beirut, third edition, 1414e.
32. Linguistic Texts Introduction to the Harmony of Discourse, Mohammad Khatabi, The Arab Cultural Center, Beirut, First Edition, 1999.
33. Principles of linguistics, Ahmed Mohamed Kadour, Dar al-Fikr, Damascus, 1996e.
34. Bahrain Complex, Fakhr Al-Din Al-Turaihi, Investigation: Mr. Ahmed Al-Husseini, Al-Mortazavi Library, Third Edition.
35. Brief editor in the interpretation of the book Aziz, Ibn Attia Andalusian (d.542e), investigation: Abdul Salam Abdul Shafi Mohammed, Dar al-Ketub al-Sallami, Beirut, first edition, 1422H.
36. The Importance of the Download and the Truths of Interpretation, Abdullah bin Ahmed bin Mahmoud Al-Nusqi, An Inquiry by: Yusuf Ali Badawi and Mohieddin Dib Musto, Dar al-Kalam al-Tayeb, First Edition, 1998.
37. Al-Mustaqraq on Al-Saheehayn in the hadeeth, Muhammad ibn Abd Allah al-Nisaburi, al-Muqtadaq al-Saheehayn in the hadeeth.
38. Al-Munir lamp in Tahdib Tafseer Ibn Katheer, authored by a group of scholars under the supervision of Safi Al-Rahman Al-Mubarkafoori, Dar es Salaam, Riyadh, 2013.
39. Downloadable features in the interpretation of the Qur'an, Muhi Al-Sunnah Abu Muhammad Al-Hussein Bin Masoud Al-Bagawi (510e), achieved and exited his conversations: Muhammad Abdullah Al-Nimr et al., Taiba House for Publishing and Distribution, fourth edition, 1997.
40. Meanings of Buildings, Dr. Fadel Saleh Al-Samarrai, Dar Ammar, Jordan, Second Edition, 2007.
41. Dictionary of Quranic Vocabulary, Al-Ragheb Al-Asfahani (205 H.), Investigation: Safwan Adnan Daoudi, Dar Al-Qalam Dar Al-Shamiya, ٤th edition, 20.